نـافـذة

الحب بين ميلادين كريمين

العلاقة بين الإنسان والرب علاقة بسيطة لا تحمل أي نوع من التعقيد فهي رضا وقبول، إيمان وتسليم يتوجه من العبد إلى الرب، ورضا وقبول من الرب إلى العبد، لا وساطة فيها، وأي وساطة تمثل عقدة يصعب تجاوزها، وقد أثبت اللاهوت أو علم الأديان منذ القدم، وفي مختلف الشرائع أن العلماء في اللاهوت، وطبقة رجال الدين ليسوا أكثر من باحثين عن مجد علم، ويصدق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم: ليقال عالم وقد قيل.. ولكن هذا الإرث اللاهوتي العقيدي الإنساني المنشأ زاد الأمور تعقيداً، وصار الإنسان يعيش مسافة ضوئية بعيداً عن تلك العلاقة البسيطة مع الرب، ولا مراء في أن ما فرضه علماء الدين ورجاله على أتباع الشرائع كبلهم وجعلهم يدورون في فلك إنساني لا رحمانية فيه ولا رحمة!

فالعلاقة تقوم على الحب والرضا، ولا تقوم على السخط والغضب والإكـراه، ومن هنا التقطت ما سمعته من محاضرات سماحة المفتي العام الأستاذ الدكتور أحمد بدر الدين حسون والتي ألقاها في حلب (لا إكراه في الدين) ولم يكن النص المقدس (لا إكراه) في الإسلام أو في الشعائر، لأنه قد يتم الإكراه في المظهرية الشرعية، لكن الدين عميق الغور بعيده، ومن المحال أن يتم فيه إكراه، لأننا قد نمارس شيئاً، ونضمر شيئاً آخر، والاعتماد على ما هو داخل عقل المرء وجوارحه، وللحقيقة فإن هذه القراءة هي قراءة عميقة لم يصل إليها وعي، وأظن أن الكثيرين مثلي لم يصلوا إلى هذه المدارك من القراءة. ومن هذا الفهم العميق أعود لما قلته في رحيل العلامة الدكتور البوطي، ففي رحيله لم نفقد عالم شرع، ولا أستاذاً، وإنما فقدنا الوحيد على الساحة العربية الذي كان يعمل الفكر والعقل، ويعمد إلى المحاججة، وقد حضرت دروسه (كبرى اليقينات الكونية) في جامع السنجقدار في الثمانينيات من القرن العشرين، وأعجبت بهذا القدر من النقاش العقلي.

وأذكر أن أستاذي الدكتور طيب تيزيني وفي جلسات عديدة كان يشير إلى عمق نقاش الدكتور البوطي، وقدرته على الحوار لا على فرض آرائه بطريقة أو بأخرى، وكلنا يذكر الحوار الذي دار بينهما على التلفزيون السوري، ورقي هذا الحوار الذي لا يقوم على التسفيه والرفض، بل يقوم على النقاش بغية الإيضاح والشرح وليس بغية الإقناع والاستمالة، وبفقد الدكتور البوطي لم تفقد سورية وحدها، بل فقد الفكر الإسلامي باحثاً ومفكراً جلّ أبحاثه محاكاة عقل، من الفكر والقلب، وله الأبحاث التي كانت في القمة، والتي تعالج الحياة المعاصرة، سواء اتفقنا أم اختلفنا فيها وفي تناولها، إلا أن الدكتور البوطي كان فيها محاوراً، وكان أديباً ومترجماً عن الكردية، وهذه الصفات المجتمعة قلّما نجدها في شيخ معمم.. لقد كان مختلفاً، وخسرنا علامة مميزة ومختلفة بكل المقاييس.

وأذكر لتميزه الخلاف بينه وبين سواه، فقد التقيت قبل الربيع المزعوم والفوضى الحقيقية في سراييفو الشيخ يوسف القرضاوي مع عدد من الأساتذة السوريين، ولا أنسى تحفظه تجاهي عندما سمع اسمي وقوله: أنت صديق مفتي سورية، فأجبته لست صديقه بل أنا إن قبل شقيقه وأخوه وتلميذه، وقد يقبل صداقتي، وهذا الرجل، على البعد، وعلى عدم المعرفة الشخصية رسم حداً، ووضع تحفظاً دون أن يحدث أي حوار؟ وسألت يومها أحد الأصدقاء الصحفيين، هل يعقل أن تكون روح العلماء هكذا؟

أعود إلى ما بدأت من استماعي واستمتاعي واقتناعي بما يتحدث به سماحة المفتي العام، وعندما قال له أحد الحاضرين من المسيحيين وهو على درجة من العلم: إن الإسلام الذي تتحدث عنه أحببته فأجابه سماحة المفتي: إن ما أريده منك أن تحب عيسى وأن تؤمن بما جاء به، كما أطلب من المسلمين أن يحبوا محمداً، وأن يطبقوا ما جاء به، ولو طبق المسيحيون ما جاء به المسيح، لما كانوا يخوضون الحروب وغمارها من حرب إلى حرب، ولما كانوا يعتدون على الشعوب والأمم الأضعف، وكذلك الحروب والقتل والتدمير الذي قام به المسلمون يدل دلالة قاطعة على أنهم لم يتبعوا ما جاء به الإسلام.

دُهش ذاك بالجواب، وكان الجواب حقيقياً من سماحته، فهو يرغب ببناء مجتمع محب، ولا يرغب في استمالة الناس عقيدياً لتبديل عقائدهم.

إن ما طرحه سماحة المفتي بعلمه وشخصه قبل أن يتشرف بمهام الإفتاء كان خير الإنسان وسعادته، وما حافظ عليه بعد أن حمل مهام الإفتاء لم يتغير، بل زاد بربط الإيمان بالوطن والوطنية، فأعطى للإيمان بالأوطان والـتراب خصوصية وقداسـة، ولم يحد عن ذلك على الرغم من كل الحملات المغرضة، والمغرضة لا تحمل أي شعاراتية، فلم يبق منبر من المنابر التي تنهش بسورية إلا وتناوله بما استطاع جزاء مواقفه الوطنية، وقراءاته للنص ا لديني التي تناسب حياتنا وتحافظ على وحدتنا وعيشنا.. وكل ذلك لم يفت في عضده وعلمه وحركته الدائبة من أجل سورية وحاضرها وغدها المشرق، كما إن ثقة السيد الرئيس بسماحة المفتي لم تتزعزع بل زادت قناعة ورسوخاً بالدور التوعوي التنويري الحقيقي لسماحته، ما أعطى للإفتاء دوراً مهماً ولدور المفتي قيمة إضافية.

ولكن أغرب ما رأيته في الآونة الأخيرة أن يتفق خصوم سورية في الخارج والأصوات الناعقة ضدها، والساعية إلى تدميرها، مع أصوات في الداخل، وما أظن الاتفاق إلا من باب الحقد على سورية وحاضرها ومستقبلها..

الإسلام يحصّن بالسلام
والمسيحية تحصن بالعفو
والوطنية تحصن بالانتماء

فلنعد إلى العلاقة الطبيعية البسيطة بين العبد والرب، ولتكن دون وسائط وكهنوت، وليكن دور العلماء ورجال الدين الدعوة إلى الحب والتسامح من أجل حياة مختلفة.

كل يوم يولد من يحفظ القرآن أو الحديث، ولكننا نعجز عن إيجاد من يعلمنا الإيمان في كل يوم نطوّب مطراناً أو بطريركاً، ولكننا نعجز عن إيجاد من يرشدها إلى يسوع.

في كل يوم يولد من نظنه ويظن نفسه، لكن من الصعب أن يتكرر البوطي وإلياس زحلاوي وأحمد بدر الدين حسون.

نحتاج إلى العالم الشغوف بالأدب والموسيقا والحياة..

وقبل كل شيء الشغوف بالأوطان والإنسان.. نحتاج إلى ذلك الذي يمهد العلاقة القائمة على الحب بين العبد والرب، الذي يحترم عقولنا، ولا ينفي إنسانيتنا وإنسانيته، يغضي عن أخطائنا، ولا يرى نفسه مقدساً.

ما بين ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ويسوع عليه السلام مسافة من رحمة وحب لا قيمة للزمن فيها.

إسماعيل مروة

سيرة حياة الدكتور عبدالله واثق شهيد

يصور الحياة متحدثاً عن تاريخ سورية وما مرت به من أحداث وطنية وثقافية وعلمية وتعليمية

سارة سلامة

صدر عن مطبوعات مجمع اللغة العربية كتاب «الفيزيائي المجمعي»، للأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد «١٩٢٧–٢٠١٥»، أمين مجمع اللغة العربية بدمشق، وهو عبارة مذكرات تحمل سيرته ورحلة حياته الذاتية التي خطها بيده، والكتاب يقع في ٣٠٤ صفحات من القطع المتوسط.

والدكتور شهيد ولد عام ١٩٢٧، في بلدة دارة عزة بمدينة حلب، وتخرج في قسم الفيزياء في كلية العلوم بجامعة دمشق عام ١٩٥١، وحاصل على شهادة الدكتوراه في الطاقة النووية من فرنسا، وأنشأ وزارة التعليم العالي في سورية عام ١٩٦٦م، وكان أول وزير لها، وفي عام ١٩٧١م كان أول مدير لمركز البحوث والدراسات العلمية في سورية، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٩٤م، وهو الباحث والفيزيائي والوزير السابق الذي نال مناصب عديدة، وغادر الحياة في العام ٢٠١٥.

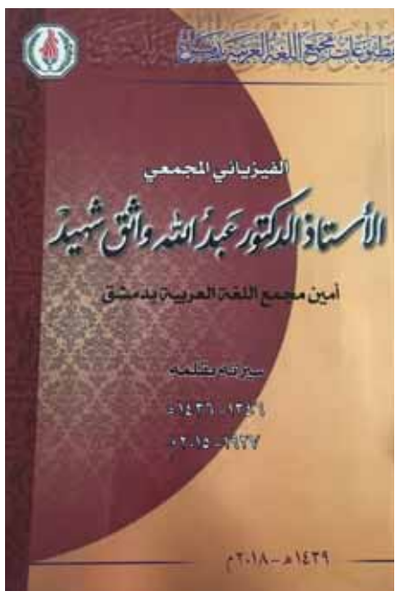

كلما ازدت قرباً منه ازدت إعجاباً

وفي تقديم الكتاب تحدث عضو مجمع اللغة العربية الدكتور مازن المبارك تحت عنوان (مع سيرة الأستاذ الدكتور عبدالله واثق شهيد) قائلاً: «لقد عرفته في أول عهدي بالتدريس الجامعي، جمعتنا لجنة تمثل الهيئة التدريسية الجامعية لوضع مذكرة عما يصلح أوضاعها وعما نحتاج إليه، ثم عرفته زميلاً معاراً إلى جامعة الرياض وصحبته عن قرب واستمرت صلتنا بعد انقضاء الإعارة حين كنت أستاذاً في الجامعة وكان عميداً لكلية العلوم فرئيساً للجامعة ووزيراً للتعليم العالي، ثم لقيته في مجمع اللغة العربية، وكنت عضواً في لجنة رأسها واستمر العمل فيها سنوات ليس فيها سوى اثنين هما رئيسها شهيد وكنت معه فيها عضوها الوحيد، ولقد عرفت عنه أكثر مما كنت أعرف، فهو من الرجال الذين كلما ازدت قرباً منه ازدت إعجاباً به، وحباً له، وتقديراً لسلوكه وأخلاقه».

ويضيف المبارك إنني: «لن أستطيع متابعته وهو يتابع يسرد سيرته، بل يصور الحياة التي عاشها، بل يلقي ضوءاً على تاريخ بلده سورية وما مرت به من أحداث وطنية وثقافية وعلمية وتعليمية، إنها صورة لكل ذلك من منظور إنساني صادق صاف، نبت في دارة عزة ونشأ في حارم وتعلم في حلب ثم في دمشق، تنقل من موظف ومعيد في الجامعة إلى مدرس فأستاذ فعميد فمدير للجامعة فنائب ووزير للتعليم العالي، فكانت له في كل مرحلة من مراحل حياته شخصيته الثابتة ونظرته الثاقبة وآراؤه الواضحة، رحم الله الدكتور عبد الله واثق شهيد العالم الواعي النشيط، والمفكر المبدع، فلم يترك فرصة إلا وشجع الشبان والنابغين من طلابه واغتنمها ليدفع بهم إليها ويوجههم نحو مستقبلهم بحكمة وصدق، وما عرف كلمة وفاء إلا قالها في مناسبتها موجهة إلى من يستحقها من أفراد أسرته أو أصدقائه أو أحد رجال وطنه».

وفي مسيرة حياة الباحث والفيزيائي الدكتور عبد الله واثق شهيد، كان بحثنا منتقين مما تركه على شكل ومضات صغيرة تدل على حياة عظيمة وقصة نجاح كبيرة لننهل منها الكثير:

البيئة التي نشأت فيها

للبيئة التي نشأت فيها مظاهر عدة، فهي مجموع البيئات الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إلا أن البيئة الثقافية كانت في أيام طفولتي ضعيفة التأثير في قرانا، نقف على بعض ما يذكر بها في ثنايا عرض البيئات الأخرى.

أما البيئة الاجتماعية فهي أوسعها جميعاً وأقواها تأثيراً، ما يجعلها ترد في عرض جميع مظاهر البيئة العامة: الطبيعية والاقتصادية والثقافية، ولا بد لاستكمال صورتها من عرض أهم العادات الاجتماعية في القرية التي يمكن جمعها في عادات مجتمعها في الأعياد والأعراس والاحتفالات والألعاب أو اللهو، وكانت المرحلة الأولى من العمر، من بدايات الوعي حتى نهاية مرحلة التعليم الابتدائي، يبدو مما تبقى في ذاكرتي عن مرحلة من الطفولة تنتهي مع بداية دخولي المدرسة الابتدائية في حارم، وقد تمتد أحياناً إلى سن العاشرة، أن انتباهي قد انصرف فيها إلى أمي خاصة من بين كل من يكون حولي، فلا أذكر إذا ما كنت معها أحداً من الأهل.

قد يكون ذلك طبيعياً، أي إن حضور الأم في مشهد ما يطغى لدى الأطفال على كل ما يحتويه، فلا يميز الطفل فيه غيرها، وإذا ميز أحياناً غيرها، كان ما يميزه من الحضور هو مما تهتم هي به في ذلك المشهد، وهذا ما جعلني أذكر في عودتنا من حلب إلى دارة عزة حاج علي حسن وأمي.

كان عمري وقتئذ قرابة خمس سنوات، ولم أشعر بوجود أختي عائشة التي تصغرني بسنتين ونصف السنة إذ لا بد أنها كانت مع أمي فصغر سنها لا يسمح بتركها بعيداً عنها، لم أشعر بوجودها معنا كما ليس في ذاكرتي ما يذكرني بها من قبل، لا أذكر بدقة تاريخ حدوث بعض المشاهد، وأحتاج لتحديده بدقة إلى مزيد من الوقت لتنشيط الذاكرة والعودة بها إلى ما يجاور ذلك المشهد زماناً ومكاناً، وسأعود بها فيما أرى أن تحديد تاريخ وقوعه من المشاهد مهم، أهم ما بقي في ذاكرتي من هذه المرحلة يصنف في صنفين هما: ما وقع قبل انتقالنا من دارة عزة إلى الدار الجديدة، وهي المرحلة التي كان عمري فيها دون السادسة.

وتلك التي وقعت بعد انتقالنا إليها، دلّاني أحد إخوتي من شرفة الطابق الأول ليتلقاني أخوان آخران في أرض الدار فيأخذاني إلى أمي التي كانت تخبز على التنور، إلا أن ممانعتي التدلي خوفاً من الوقوع، وتحركي عشوائياً وبشدة، أديا إلى ارتطام رأسي من الخلف بنجاف الشرفة التي لا يحيط بها (درابزون) ففدغت الجمجمة ولا يزال موضع الفدغ ظاهراً وقد تجاوزت الثمانين من العمر، في هذه اللحظة التي ارتطم فيها رأسي بالنجاف وفدغ.

سجلت في الذاكرة صورة كاملة لما حولي: أمي مع سيدة أخرى على التنور الذي يقع في أقصى الجنوب من الدار، وفي الغرب بين التنور وباب الدار أثفية عليها قدرة (قدر صغيرة) من الجينكو بنفسجية (لا بد أنني رأيتها من قبل)، وكومة من الحطب في أقصى الشرق من الدار، يليها إلى الشمال بئر بلا سكر.

كان عمري كما ذكر أخي إبراهيم، وهو الذي دلاني، دون الثالثة، تفاصيل المشهد التي ذكرت تدل على أن الطفل يعي في سن مبكرة اللحظات الحاسمة الخطيرة في حياته.

يظهر أن بدايات وعيي ما أحلم به، وبدايات تسجيله في الذاكرة، كان قبل سن الرابعة أو حولها (بالمقارنة بوقت زيارة خالي فيما بعد). كنت كثيراً ما أحلم في هذه السن أنني ممدد على الأرض بين بداية الدرج وحائط الدار، والمسافة بينهما لا تزيد على متر إلا قليلاً، يحاصرني وأنا ممدد أسد لونه أسمر فاتح يهم باقتراسي من رقبتي، وبين كتفيه لبدة عظيمة، تكرر هذا الحلم مراراً وأنا في هذه السن.

هذا الحلم أصبح موضوع اهتمامي في السنوات الأخيرة من دراستي في التجهيز، فلقد رأيت صورة الأسد في كتاب كليلة ودمنة، وفي كتاب القراءة في أندروكلس والأسد، إلا أن هذا كله حصل في سن بعد الرابعة بكثير، فمن أين جاءتني صورة الأسد وكيف؟ وأخذت أفكر في التقمص، ولاسيما أنني كنت أحلم بأنني أطير في الساحة الضيقة لتلك الدار وأحط فوق أكوام الحطب في الطرف الشرقي منها، وتكرر هذا الحلم أيضاً حتى العاشرة من العمر أو قريباً منها مع أننا انتقلنا إلى الدار الجديدة قبل السادسة.

بقي هذا الهاجس يؤرقني إلى أن قرأت وأنا طالب في المعهد العالي للمعلمين، أن الإنسان لا يمكن أن يحلم بصور لم يرها في يقظته، فعدت إلى أمي وإخوتي أسألهم عما إذا كانوا يتذكرون صورة أسد كانت كثيرة الحضور في الدار، فأخبرني أخي إبراهيم بعد مدة، أن أبي كان يضع سجائره في علبة معدنية عليها صورة أسد، إلا أن هذه العلبة بقيت بعيدة عن ذاكرتي أكثر من عامين، ولاسيما أنني لم أدرك أيام تدخين والدي التبغ.

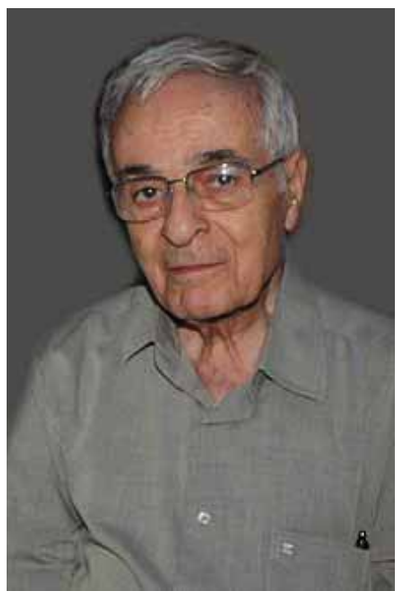

في كلية العلوم معيد

جرت الامتحانات وتخرج أول فوج في كلية العلوم، فخرجنا من فئة الطلاب ولكن عشش في قلبي حب هذه المرحلة من الحياة، مرحلة الشباب بقوته وآماله وطموحه، وعينت مدرساً في تجهيز حلب كما اخترت، تجذبني إليها ذكريات الحياة الليلية وصداقات الفتوة الخصبة، التي جعلت من الصبية رجالاً، ولكن لم يبق في المدرسة من رفاق الأمس أحد.

أما دمشق، فلا تزال كلية العلوم تزهو بأساتذتنا وزملائنا وكثير من الطلاب المستجدين الذين دخلوا الكلية في سنتنا الأخيرة فيها، فيها الشبان المشرقة وجوههم والعامرة صدورهم بالآمال والأحلام، يبنون بها صورة المستقبل الوضاء، والحب ينبض في قلوبهم فيملأ دنياهم مرحاً ودروبهم بشائر خيرة، فهنا في دمشق ذكريات الأمس القريب وإليها الحنين إلى الشباب بآماله وأحلامه.

فلما أعلنت كلية العلوم عن مسابقة لانتقاء معيدين في قسم الفيزياء تقدمت إلى المسابقة مع زميليّ الناجحين في الـدورة الأولى، فنجحت أنـا وزميلـي عدنان المحاسب، وعدت إلى قسم الفيزياء معيداً، كان تفقدي الغرف التي كنا نجتمع فيها طلاباً لتلقي الدروس، هو همي المحبب إلي، إنها ذكريات تهز النفس شوقاً إلى تلك الأيام التي كنت ما أزال فيها طالباً، لقد ولّت ولن تعود وأبقت لي ذكريات.

في كلية فتية لم يكن للبحث العملي فيها دور، فلم يقم أحد من أساتذتها السوريين ببحث علمي في الفيزياء باستثناء بدايات الأستاذ توفيق المنجد في فرنسا، ثم إن مهام التدريس تثقل كواهلهم، وكنت لذلك أقوم بتوجيه نفسي، واستمع بشوق إلى ما تبقى في ذاكرة أساتذتنا الدكتور إسحق الحسيني عن التوابع (الـدوالّ) الخاصة والقيم الخاصة في الميكانيك الموجي، الميكانيك الجديد (في أيام دراسته في ألمانيا). كنت أستمع إليه، وأعود للأستاذ فتحي قدورة فأنتقي من كتالوج مكتبة بلاكويل، الذي لديه، كتاباً في الميكانيك الموجي، الميكانيك الجديد الذي حدثني عنه أستاذي الحسيني، ابتعت كتاباً من بلاكويل لم أفد منه كثيراً، ولا يزال في مكتبتي، وآثرت العودة للغة الفرنسية، فاشتريت عدة كتيبات من منشورات أرمان كولان، كانت جميعها عن الإشعاع وانتقال الحرارة والإحصاء، وقد أفدت منها كثيراً، وكنت من قبل قد ألفتها في كتابة رسالة التخرج عن الأشعة السينية، كذلك حاولت مرافقة صلاح أحمد في دراسة شهادة التفاصيل والتكامل، وأنهيت معه جزءاً مهماً من موادها (مقرراتها).

في المناصب العلمية العليا

عضو في مجلس الشعب: في ليلة من ليالي عملنا في تطوير التعليم في الكلية جاءني الأستاذ إلياس فرح عضو قيادة الحزب يشرح لي خطة الحزب في الاعتماد على المثقفين التقدميين للمشاركة في مجلس الشعب بالرأي في التطوير، وأن رأي الرفاق في القيادة اتفق على دعوة مجموعة من المثقفين ليكونوا أعضاء في مجلس الشعب وليشاركوا في مسيرة التطوير، وأني أحد أفراد هذه المجموعة.

شكرته على الثقة التي أولـوني إياها، وبعد حديث مسهب من الأستاذ فرح رجوته أن يمهلني يومين اثنين، ناقشت فيهما دوري الذي ليس لي فيه دراية، كما ناقشت هذا الدور مع قلة من الأصدقاء، منهم صلاح أحمد خاصة لثقتي بحصافة رأيه، وحسن طويته وصدقه، وقد استقر الرأي على قبول العرض والعمل من خلال مجلس الشعب على رفع آرائنا في تطوير التعليم عامة والجامعي منه بخاصة.

وزير للتعليم العالي

وبينما كنت ليلاً أحزم الأمتعة التي ستصحبني في السفر إلى فرنسا رنّ جرس الهاتف، رفعت سماعته، فإذا بالدكتور يوسف زعين على الهاتف، يقول: لقد قررنا إحداث وزارة للتعليم العالي، وأنت في الوزارة الجديدة وزير التعليم العـالي، تؤسسها وتقترح تنظيمها وفق الدراسات التي قمت بها، فاعتذرت شاكراً، وقلت له إنني تهيأت للسفر واتخذت الجامعة قراراً بإيفادي بمهمة علمية إلى فرنسا، وأنا أقوم الآن بحزم أمتعتي، وفي البيت بعض الزملاء يعينونني على حزمها، وأنت تعلم أن أخي توفي منذ أيام فقط، وفي ابتعادي عن البلد وعن الأهل وعن كل ما يذكرني به سلوى تخفف من تأنيب الضمير بالتقصير بالعناية به.

لم يتابع الدكتور زعين الحديث ووضعني أمام الوضع المحرج، فقد صدر مرسوم تأليف الوزارة وكنت فيها وزيراً للتعليم العالي.

لم يكن موقفي من هذه الوزارة كموقفي من السابقة، إذ قلت في نفسي سيتاح لي في هذه الوزارة الاستفادة من الدراسات التي قمت بها في الوزارة السابقة فأقوم بإصلاح التعليم العالي وفق ما استقر عليه رأيي وعرضته في منتدانا الفكري، وسيشغلني العمل الجاد في تنظيم الوزارة وفي تطوير التعليم الجامعي عن دوام التفكير بالموت، وسأجد في العمل ضالتي من السلوى.

في مجمع اللغة العربية

في صبيحة يوم من أيام آب عام ١٩٨٥ اتصل بي الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع قائلاً: نريد من إنتاجك العملي ومما تكتب لأننا رشحناك لعضوية المجمع، فاخترت له كتابي: الترموديناميك والفيزياء الإحصائية، وأرسلتهما إليه مع كلمة شكر.

وفي ٧/ ٩/ ١٩٨٥، انتخبني أعضاء المجمع عضواً عاملاً في المجمع، وصدر بذلك المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٤٩٥ بتاريخ ١٩٨٨.

وأخذت أعد نفسي لعضوية المجمع، واستمرار تطوير المركز يملأ عليّ وقتي كله، فلم أتمكن من الإعداد إلا بعد تركي إدارة المركز في أوائل تموز ١٩٩٤، عندئذ اتصلت بالدكتور شاكر وقلت له: أنا على استعداد لحفل الاستقبال، فقال ستتحدث في الحفل عن شاعر دمشق شفيق جبري فانتابتني الحيرة، فأنا لا أعرف عنه إلا اليسير، فأخذت أجمع منتجات من أشعاره، ومما كتب عنه لأستخلص منها ما أحدّث به يوم الحفل.

اقتراح لإنشاء ورشة سينمائية في كل مدرسة

جورج إبراهيم شويط

في منظمة الطلائع جملة من الفعاليات والنشاطات التي تستقطب مئات ألوف الطليعيين الصغار، على مساحة خريطة الوطن، تنمّي قدراتهم وطاقاتهم وتصقل مواهبهم وتطلق العنان لخيالاتهم الخصبة، لأن يلتقطوا أفكاراً لإبداعاتهم التي تصبّ في مجالات الرسم والموسيقا والغناء والفنون الشعبية والفولكلورية والمسرح والأدب والرياضة، إلى جانب المناشط الأخرى التي تركز على مختلف أنواع العلوم الذهنية والعلمية والمعلوماتية المعاصرة والمتطورة. كل ذلك وفق منهجية متطورة ومدروسة بإحكام.

كما تقام لأجل ذلك المعارضُ على أنواعها والمهرجاناتُ المختلفة، على كل المستويات والمراحل وصولاً للمركزية، مع ما يقام من مسابقات هامة يُمنح في نهايتها للطليعيين المتفوقينَ، في كل المجالات المذكورة، شرف الريادة على مستوى المنظمة.

ربما هي مقدمة استهلالية كي أطلق فكرة، ربما تكون غاية في الأهمية، وكذلك غاية في البساطة، وربما تضاف للفعاليات المهمة التي تقيمها المنظمة (إنْ شاءَ المعنيون ذلك)، فعاليات ومعسكرات مازال يذكرها جيداً، كما الحلم، أولئك الذين عبروا معسكرات الطلائع منذ بداياتها، عام ١٩٧٤ وتجاوزت أعمارُهم الآن النصفَ قرن.

الفكرة باختصار، أن تشكل في كلّ مدرسة أو وحدة طليعية ورشة عمل سينمائية من الأساتذة والرفاق المهتمّين في مختلف الفنون، إضافة إلى المواهب المتميزة من الطليعيين في مجال التمثيل وسواها، والعمل على إنجاز (فيلم سينمائي قصير /درامي أو وثائقي/ بطريقة الموبايل، نعم فيلم سينمائي بالموبايل، وهي فكرة متبعة في الخارج وتقام لها المهرجانات تحت هذه التسمية (سينما الموبايل) على أن يكون حدّه الزمني يبدأ من دقيقة ولا يتجاوز هذا الحد الربعَ ساعة.

طبعاً تشكل لجنة إشراف فرعية مختصّة لمتابعة عمل هذه الأفلام في كل مدرسة، بدءاً من فكرة الفيلم وانتهاءً بالمونتاج، الذي يمكن أن يقومَ به فنيون مختصّون في مجال المونتاج، ويمكن الاعتماد على مصوري الفيديو الذين يتقنون هذا الاختصاص ويخبرونه جيداً وباحترافية. تعرض الأفلام المشاركة في صالة عرض المركز الثقافي، بحضور الأطفال وأهاليهم ولجان التحكيم وطبعاً في كل فيلم يتمّ إيراد أسماء من كتب السيناريو ومن قام بالإخراج ومن مثل ومن أشرفَ، وكل من ساهم في إنجاز هذا الفيلم.

أي إننا جعلنا من أطفالنا، بهذه الحركة الفنية الصغيرة، يؤلفون الفكرة ويمثلون ويشـاركـون في المـوسـيـقـا والـديـكـور والتصوير.. إلخ.. وتذكر أسماؤهم، وهذا بحدّ ذاته يعتبر تكريماً وتشجيعاً وتشويقاً للطفل وحتى لذويه، أن ابنَهم شارك في فيلم سينمائي وذكر اسمُه في الفيلم.

ولتبيان متعة العمل في هذا المجال أقول إنني، وأنا بهذا العمر، ومن خلال مشاركتي بعدد قليل من الأفلام القصيرة (سيناريو أو تمثيل) أفتخر أنني كنتُ مشاركاً بهذا العمل أو ذاك، على بساطة العمل، أو بساطة الفكرة، أو بساطة الإخـراج، أو بساطة المونـتـاج.. المهمّ بقي في ذاكرتي ذكرى جميلة، ومشاركة إبداعيّة مشوّقة في فن مشوق هو الفن السابع الساحر، وتجربة أمتعتني وأسعدتني.

وقد يتساءل البعض، ماذا عن التكلفة؟ كمْ سيكلف هذا الفيلم؟ أنت تقول فيلماً سينمائياً، وهذا حتماً سيكلف مبالغَ هائلة؟ وأنا أقول لكم قد لا يكلف أي فيلم ولو ليرة واحدة. فتصوّروا!

أما الأفلام الفائزة في كل فرع، أي في كلّ محافظة من محافظات القطر الـ١٤، فيتمّ اعتمادُها للمشاركة في مسابقة سنوية مركزية تقام على مستوى القطر.

وبهذه الطريقة نعمل على تفعيل نشاط مميز ولافت ويشدّ الطفل وذويه والمعنيين بشأن الطفل ومواهبه وبنائه السليم، ويكون حافزاً لكلّ موهبة في مدارسنا على أن تكون مشاركة بهذا الفيلم أو في الفيلم الذي يليه أو الذي يليه.

هـي فـكـرة يمـكـن الاسـتـفـاضـة في شرح إستراتيجيتها وطريقة طرحها، أضع خطوطها الأولى بين الأيدي البيضاء النقية التي تهمها الطفولة ويهمها كل طفل سوري، سواء القائمون على العمل الطليعي في منظمة الطلائع، أم حتى على صعيد المنارات الـ٢٦ التابعة للأمانة السورية للتنمية وغيرها من الجهات التي تهتمّ بالطفل وبتنشئة الطفل التنشئة السليمة والحضارية.

فهل تصبح الفكرة حقيقة؟